

استغلال رمضان

كتبه : د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي



إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة
وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين



استغلال
رمضان



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... أما بعد :

فإن من حكمة الله ورحمته ولطفه بعباده أن هبأ لهم مواسم للطاعات، تنشرح فيها صدورهم لعمل الصالحات، واغتنام الأوقات، ووعدهم على ذلك جزيل الثوابات : (**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**) (القصص: ٢٨) : فاختار من الناس محمداً . ومن البقاع مكة والمدينة، ومن الأيام يوم النحر، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأشهر شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . وأودع الله في قلوب عباده المؤمنين شوقاً دفيناً لهذا الشهر، فما أن يستدير العام حتى تخفق تلك القلوب يُقْصِده، وتشتوق لاستقباله، كما يستقبل الضيف الحبيب الذي طال غيابه . وكان المؤمن قد ناء بحمل الأثقال من الخطايا والغفلات، فما أن يهل الشهر ويحل إلا وقد ألقاها عن كاهله، واطرح بين يديه بيتوب إليه ويستغفره، ثم يقبل على قلبه يجلو صدأه، ويصمم الرآن عنه، حتى يعود صقيلاً مضيئاً، مثل السراج يزهر . روى الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه : يقول : (قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه . فتفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين . فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم) (رواه إسناد صحيح . قال ابن رجب، رحمه الله : (قال بعض العلماء : هذا الحديث أصل في تهنئة الناس ببعضهم بعضاً بشهر رمضان الطائف المعارف : ٢٧٩ .

١



استغلال
رمضان



يوفقنا الله لهذا الشهر الكريم بالصالحات، فنفرح بها : (**يَوْمَ تَجُذَّبُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخْصِرًا**) (ال عمران: ٣٠٠) .

أولاً : الصيام :
نص الله تعالى على الحكمة من فرضية الصيام بقوله : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلِكُمْ تَقْوُونَ**) (البقرة: ١٨٣) . ويبين نبيه صلى الله عليه وسلم مقصود الصيام بقوله : (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) (رواه البخاري . فالصوم الحق هو الذي يحلِّي صاحبه بالزينة الباطنة، وهي التقوى، والزينة الظاهرة، وهي الأدب والسمت الحسن، كما في الصحيحين، من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له : إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به . والصيام جنةٌ : فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابحه أكل قاتله، فليقل : إني صائم . والذي نفس محمد بيده، لخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه) . وهذا الصوم المنشود هو التابع من الإيمان والاحتساب، لا من التقليد والعادة، والمجارية، فإني صائم من حديث أبي هريرة أيضاً، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه) : أي : إيماناً بالله وحقه عليه في الصوم، واحتساباً لموعوده من الأجر والثواب .

ثانياً : القيام :
القيام قرين الصيام، وعديله في الأجر : ففي الحديث المتقدم (ومن قام

٢



استغلال
رمضان



رمضان، فيدارسه القرآن) (متفق عليه . وعلى هذا السنن النبوي سار الموفقون من سلف هذه الأمة، فكانوا يكثرون الختمات : فكان أبو رجاء العطاردي يختم في كل عشر، وكان قتادة يختم في كل سبع يوماً، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر كل ليلة . وكان الأسود النخعي يختم في كل ليلتين . قال ابن رجب : (وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث، على الدوام على ذلك . فأما في الأوقات الفاضلة، كشهر رمضان، خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن الفضلة، كمكة، شرفها الله، لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتناماً للزمان والمكان) .

وإنه لمن دواعي الأسى أن يمر شهر رمضان ببعض المسلمين دون أن يختم

ختمه واحدة ! فضلاً عن أن يشتغل بتدبره، وتفسيره . ومما يعين على كثرة التلاوة أمور :

أحدها : أن يواظب الصائم على القعود في مصلاه بعد صلاة الصبح، مشغلاً بذكر الله وقراءة القرآن، حتى ترتفع الشمس، فيتمكن بذلك من قراءة جزئين من القرآن .

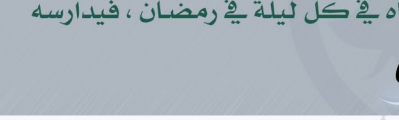
الثاني : أن يجتمع مع نفر من أصحابه على قراءة كتاب الله، في بيت من بيوت الله .

الثالث : أن يحرص على التذكير إلى الصلوات الخمس، فيقرأ ما كتب الله له بين الأذان والإقامة، وبعد الفريضة .

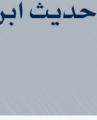
رابعاً : الصدقة :

قال ابن عباس، رضي الله عنهما : قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن . وكان جبريل يلقاه في كل ليلة في رمضان، فيدارسه

٥



استغلال
رمضان



(البقرة: ١٢٥) . وقال : (**وَأَنْتُمْ عَرِكُفُونَ فِي أَسْجِدِ**) (البقرة: ١٨٧) . وفي الصحيحين من حديث عائشة، رضي الله عنها، قالت : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده) .

والاعتكاف : لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، وطلباً ليلية القدر . فينبغي أن يشتغل المعتكف بأنواع الطاعات القاصرة : من صلاة، وذكر، ودعاء، وقراءة قرآن، ونحو ذلك . ولا يضيع وقته بالأحاديث مع أصحابه، إلا ما ندر، أو الضحك والسمر، كما يقع من بعض المعتكفين . فهذا لون، واعتكاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لون .

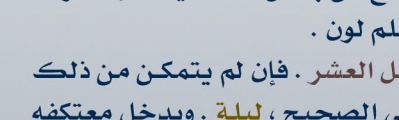
والاعتكاف المشروع اعتكاف كامل العشر . فإن لم يتمكن من ذلك اعتكف ما تيسر . وأقل الاعتكاف، على الصحيح، ليلة . ويدخل معتكفه قبيل غروب الشمس، **ليلة إحدى وعشرين**، ويخرج منه **ليلة العيد** . ولا يخرج أثناء ذلك إلا لما لابد منه، أو لعبادة اشترطها .

سابعاً : الفقه في الدين :

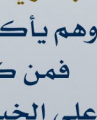
ينبغي للمؤمن أن يتفقه في الدين عموماً، فإنه : (من يرد الله به خيراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) (رواه البخاري . وأن يتفقه فيما يعرض له من العبادات والمعاملات خصوصاً . ومن ذلك أن يتعلم الصائم فقه الصيام، من شروط الصوم، والنية فيه، وأحوال الناس : من حيث وجود سبب الوجوب، أو زوال المانع، وما يفسد الصوم من المفطرات، وما يوجب الكفارة، وأحكام القضاء، وما يستحب للصائم وما يكره، وما يستحب صومه من الأيام، وما يكره وما يحرم، وأحكام الاعتكاف والعبيدين، وغير ذلك .

وتحصيل ذلك يكون بأمر متنوعة : بمطالعة الفتاوى . كما ينبغي للصائم أن الدروس، وسؤال أهل العلم، ومطالعة الفتاوى . كما ينبغي للصائم أن

٧



استغلال
رمضان



ورمضان في ضمير المؤمن موسم **قريه وإخبات**، واستكثار من الأعمال الصالحات . وقد تعرض هذا الوعي الإيماني في السنوات الأخيرة لقدر من التشويه والانحراف : فصار في حس بعض الناس موجساً للتسوق **والفتن في الأكلات والوجبات**، وعند آخرين **مهرجاناً للأفلام والمسرحيات** التي تقي بها الفضائيات، ويقترن عند طائفة بذكر النوم والكسل وترك الأعمال والواجبات !! وكل هذا باطل ما أنزل الله به من سلطان، ولا كان من شأن أهل الإسلام، وإنما طرا على مجتمعاتهم في غيبة من العلم وغفلة من الذكر، وهجمة من الذين يتبعون الشهوات، أشد بعض السلف : أتى رمضان مزعة العباد لتطهير القلوب من الفساد فأد حقوقه قولاً وفعلاً وزاد فأتخذها للمعاد فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادماً يوم الحصاد ولم يزل الصالحون يشبهون رمضان **بالمزرعة**، وحلوه بالموسم، ومن شأن ذلك أن يستغل . قال ابن منظور : (**استغلال** المستغلات أخذ غلتها) (سان العرب: ١١٠/١) .

ولا يتم هذا الاستغلال، بشكل تام، إلا بتحقيق ثلاثة أمور :

الأول : التهيئة الإيماني لاستقبال هذا الشهر : بأن يورد المسلم على قلبه المؤثرات الإيمانية من المحبة، والخوف، والرجاء، التي تؤهله لاغتنامه بالعمل الصالح .

الثاني : التخطيط الجيد للوقت، ورسم برنامج يومي متوازن لتحقيق المقاصد المختلفة .

الثالث : العلم الشرعي : بمحبيات الله ومراضيه، التي ينبغي السعي في تحصيلها في هذا الشهر . وقد اجتمعت في هذا الشهر الكريم أمهات العبادات . وفيما يلي فتح **لصوامع الغلال**، **لأرباب الاستغلال**، عل الله أن

٢

رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) . ورمضان مدرسة تربوية لاكتساب هذه الخصلة العظيمة، التي هي شعار الصالحين، الذين أنشأ الله عليهم بقوله : (**لِنَجْعَلَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ الصَّاحِبِ ذِكْرًا يَرْهَبُهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**) (١٥) **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أُنْزِلَتْ لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) (١٦) (السجدة: ١٦، ١٧) . وهي صفة عباد الرحمن، الذين قال فيهم :

(**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**) (١٨) (الفرقان: ٦٤) .

وقد دأب المسلمون منذ زمن الخليفة الرشيد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، **على قيام الليل جماعة** خلف إمام واحد، مُحْيِينَ بذلك سنة نبوية

رمضانية، فطعمها النبي صلى الله عليه وسلم خضية أن تفرض على أمته، ثم جدها أمير المؤمنين عمر، لما زال المحذور ولم يزل المسلمون يصلونها، ويسمونها **صلاة التراويح** . فينبغي للمؤمن أن يحافظ على القيام مع إمامه كل ليلة حتى تنقضي الصلاة، لئلا ل الثواب الموعد، ففي حديث أبي ذر، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف، كتب له قيام ليلة) (رواه أهل السنن بسند صحيح . وأن يصبر نفسه على ذلك طول الشهر، ولا يخرم منه ليلة واحدة، ليصدق عليه أنه قام رمضان، لا بعض رمضان . ولا يكون همه البحث عن الأئمة

النقارين، أو التنقل بين المساجد كهيئة المتذوق .

ثالثاً : الدعاء :

قال تعالى : (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**) (البقرة: ١٨٥) . وقال تعالى : (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ**) (القدر: ١) .

كان نبينا صلى الله عليه وسلم يخصه بمزيد العناية والمداينة : ففي حديث ابن عباس، رضي الله عنهما : (وكان جبريل يلقاه في كل ليلة في

٤

القرآن، فمرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة) (متفق عليه . **فَيُبَيِّنُ الصَّيَامَ وَالصَّدَقَةَ وَالْجُودَ** تلازم عجيب ! إذ أن الصوم يتسامى بصاحبه عن رفق الحياة، وثقله المادة، ويشعر صاحبه بما يلقي الجوعى والظَّمَأَى من عنت، تخفف النفس لتحقيق المماساة، فتسح اليد باليدل والإنفاق، وترتفع عن الشج والاثرة . وقد بدا ذلك جلياً في حياة السلف، فقد جاء سائل إلى **الإمام أحمد**، رحمه الله، فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره، ثم طوى، وأصبح صائماً . وكان **الحسن البصري**، رحمه الله، يطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً، ويجلس يروحهم وهم يأكلون .

فمن كان ذا جدة فهذا أو أن البذل، ومن لم يكن، فينبغي أن يكون دالاً على الخير بتوجيه المؤمنين إلى أهل العوز والفاقة، والأرامل، واليتامى، والمساكين، المتفحصين الذين لا يسألون الناس إلحافاً . والدال على الخير كفاعله .

خامساً : العمرة :

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عمرة في رمضان تعدل حجة) (رواه أحمد وابن ماجه . و (في) للظرفية الزمانية، فيحصل المقصود بإيقاع العمرة في أي يوم من الشهر، فلا يلزم أن يكون في العشر الأواخر، أو في ليلة بعينها، أو في النهار دون الليل، وسواء كان صائماً أو مفطراً، ما دام في رمضان . لكن يخطئ من يهل بالعمرة قبل ثبوت الشهر، ويجعل طوافه وسعيه وحلقه بعد ثبوته، لأن الإحرام أحد أركان العمرة، فلا بد أن يقع في رمضان أيضاً .

سادساً : الاعتكاف :

قال تعالى : (**أَن طَهَرْنَا بَيْنَهُ لَلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ**) (١٥)

٦

يستصحب تفسيراً من التفاسير المعتمدة، يفهم فيه عن الله مراده، ويرفع الجهل عن نفسه وعن إخوانه وأهل بيته .

ثامناً : صلة الرحم :

تتيح الأجواء الرضمانية بيئةً صالحة للتواصل بين المسلمين، من أقارب، وجيران، وأصدقاء . فينبغي استغلال هذه الفرص لتقوية الصلة، وغرس المحبة، وتقنية العلاقات مما قد شابها من كدر أو سوء ظن، مما ينزعه الشيطان بين المسلمين .

تاسعاً : الدعوة إلى الله :

في شهر رمضان، لا سيما أوله، يقبل كثير من الناس المفرطين، على ارتياد المساجد، ومحاولة الاستقامة، فإن وجدوا وجوهاً هاشة، باشة، كان ذلك مدعاة لتثبيتهم على التوبة . وإن وجدوا صيدوا وإعراضاً، وربما تعريضاً وانتقاداً، عادوا لسيرتهم الأولى بعد بضعة أيام . فينبغي للمؤمن الموقف أن يستغل هذا **الإقبال** **لتسميهم بالكتاب**، وتحبيبهم بالمساجد وأهلها . كما إن رمضان فرصة لتفقد المتخلفين عن الصلاة، والمنحرفين عن الجادة، ومناصحتهم، وموعظتهم . وهو أيضاً فرصة مناسبة لنشر الوعي والعلم عن طريق الكلمات في المساجد، وتوزيع الكتب والأشرطة النافعة .

عاشراً : التوبة :

إن من علامة قبول العمل الصالح : أن يُوَفَّقَ العبد للتوبة النصوح من جميع الذنوب . فحري بالمؤمن اللبيب الحازم أن يتبصر في خاصة نفسه، وقت خلواته، وصفاء نفسه، لينظر ما هو عليه : فإن وجد خيراً فليحمد الله، وإن وجد سوى ذلك فليُتَّب إلى مولاه، وليعزم عزمه أكيداً، لا رجعة فيه، على الزرار إليه، واستدراك ما فات يغيره له ما سلف .

٨